



الجمال

أربع
على قوائم





الجمال

على قوائم أربع

النصّ الفرنسي: مروان الأحذب

تعريب: إليسا الصّانع الأسمر

تنسيق النصّ العربي: داني نصر - شربل شربل

التصميم الفنّي: مغالي أ. سفر عبّود

تنفيذ النّصميم: جورجينا نادر



مَلِكُ الصَّحْرَاءِ

صَيْفًا، خِلَالَ النَّهَارِ، فِي الصَّحْرَاءِ الْكُبْرَى، الْحَرَارَةُ يُمَكِّنُهَا أَنْ تَرْتَفِعَ، فَتَبْلُغَ 50 دَرَجَةَ؛ وَالتَّنْفُسُ صَعْبٌ؛ وَلَا نُقْطَةَ مَاءٍ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ، فَالْمَطَرُ يَنْحِسُ طَوَالَ أَشْهُرٍ؛ وَالْأَرْضُ أَشْبَهُ بِبِشْرَةِ عَجُوزٍ مُجَدَّةٍ. وَمَا دَامَ النَّهَارُ قَائِمًا، تَبْقَى الْحَيَوَانَاتُ الصَّغِيرَةُ فِي أَوْجَرَتِهَا، مُنْتَظِرَةً طَرَاوَةَ الْمَسَاءِ كَيْ تَجْرُوَ عَلَى الْمُغَامِرَةِ خَارِجًا. مَعَ ذَلِكَ، يَبْدُو مِنْ بَعِيدٍ، عَلَى سَطْحِ الْكُتْبَانِ، مَوْكِبٌ طَوِيلٌ مِنَ الرِّجَالِ وَالْحَيَوَانَاتِ. أَوَهُمْ هُوَ، أَمْ سَرَابٌ؟ فِي النَّهْيَةِ، مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسَافِرَ فِي ظُرُوفٍ مُمَاطِلَةٍ؟!

هَذَا الْمَشْهُدُ حَقِيقَةٌ وَاقِعَةٌ، فَأَوْلَيْكَ الرِّجَالُ مَوْجُودُونَ، إِنَّهُمْ طَوَارِقُ، بَدُو الصَّحْرَاءِ الْبَرْبَرِ، وَتِلْكَ الْحَيَوَانَاتُ الَّتِي يَمْتَطُونَهَا، هِيَ جِمَالٌ بِفَضْلِ قَوَائِمِهَا الدَّقِيقَةِ الطَّوِيلَةِ، وَوَبَرِّهَا الْقَاسِي، الْبُنِّي الْفَاتِحِ، وَأَسْنِمَتِهَا الضَّخْمَةِ، هَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ الْغَرِيبَةُ هِيَ الرَّفِيقَةُ الْإِلْزَامِيَّةُ لِلْبَدْوِ. إِنَّهَا تَعْبُرُ الْكُتْبَانَ مَعَهُمْ، مُنْذُ آلَافِ السَّنِينَ، نَاقِلَةً رِجَالًا وَأَحْمَالًا.



هَذَا الْمَشْهُدُ الْقَدِيمُ، الْمَنْقُوشُ عَلَى صَخْرَةٍ فِي الصَّحْرَاءِ، يُظْهِرُ أَهْمِيَّةَ الْجَمَلِ عِنْدَ إِنْسَانِ الْعُصُورِ الْقَدِيمَةِ.



عِنْدَمَا تُنْبِئُكَ الْأَمْطَارُ النَّادِرَةُ نَبَاتَاتِ
الصَّحْرَاءِ، يَنْبَغِي الإسْرَاعُ فِي أَكْلِهِ
قَبْلَ عَوْدَةِ الْجَفَافِ!



بِقِيَادَةِ حَارِسٍ، يَتَقَدَّمُ طابورُ الْقَطِيعِ
بِصَبْرِ، بِاتِّجَاهِ الْمَرْعَى الْمُقْبِلِ.



بِفَضْلِ وَبَرِّهِ السَّهِيكِ، يَتَحَنَّلُ الْجِبَلُ
جَيِّدًا لِيَالِيَةِ الصَّحْرَاءِ الْبَارِدَةِ.

الْجَمَلُ اجْتِمَاعِيٌّ بِطَبْعِهِ، فَنَادِرًا مَا
يَكُونُ صَعَبَ الْمِرَاسِ مَعَ سَيِّدِهِ. كَمَا أَنَّهُ،
بِشَكْلِ خَاصٍّ، مُتَأَلِّفٌ تَمَامًا مَعَ الْحَيَاةِ فِي
الصَّحْرَاءِ، فَبَيْنَمَا يَكُونُ حِصَانٌ قَدْ تَعِبَ مُنْذُ
وَقْتِ طَوِيلٍ، يُتَابِعُ الْجَمَلُ تَقَدُّمَهُ بِغَيْرِ كَلَلٍ،
مُتَمَكِّنًا أحيانًا مِنَ السَّيْرِ أَسَابِيعَ عَدِيدَةً مِنْ
دُونِ أَكْلِ وَلَا شُرْبِ!



خَدَارِ مِنَ مَضَائِقَةِ جَمَلٍ، فَقَدْ يَعْضُ وَيُسَبِّبُ أَدَى بِالْغَا!

عِنْدَمَا يَسِيرُ الْجَمَلُ، يُقَدِّمُ، فِي آتِ وَاحِدٍ، الْقَائِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ مِنْ جِهَةِ وَاحِدَةٍ:
يُقَالُ إِنَّهُ يُهَلِّجُ.





كُلُّ الرِّ فِي السَّنَامِ



بَعْدَ السَّيْرِ طَوِيلًا مِنْ دُونِ أَكْلِ
وَلَا شُرْبِ، يُبْكِ أَنْ يَفْقِدَ الْجَمَلَ
أَحْيَانًا حَتَّى رُبِعَ وَزْنِهِ!

أَنْ يَرْتَوِيَ؛ وَفِي الشِّتَاءِ، عِنْدَمَا تَعْتَدِلُ الْحَرَارَةُ،
فَإِنَّهُ يَنْجَحُ فِي الْإِسْتِمْرَارِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ عِدَّةَ
أَشْهُرٍ. مَاذَا يَفْعَلُ كَيْ يُحَقِّقَ إِنْجَازًا كَهَذَا؟
الْجَوَابُ فِي سَنَامِهِ...
إِنَّ هَذَا الَّذِي يَزِنُ أَكْثَرَ مِنْ 20 كِغ، يَحْتَوِي

فِي الصَّحْرَاءِ، قَلْمًا يَتَسَاقَطُ الْمَطَرُ، وَتَنْدُرُ
يَنَابِيعُ الْمَاءِ. مِنْ هُنَا، وَجَبَ عَلَى جَمِيعِ
الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي تَعِيشُ هُنَاكَ، أَنْ تَتَعَلَّمَ تَقْنِينَ
الْمَاءِ كَيْ تَنْجُوَ بِحَيَاتِهَا. وَالْجَمَلُ فِي ذَلِكَ،
مُتَّفَوِّقٌ. فَفِي الصَّيْفِ، عِنْدَمَا تَبْلُغُ الْحَرَارَةُ
ذُرُوتَهَا، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْقَى أَسْبُوعًا مِنْ دُونِ



فَضْلًا عَنِ احْتِوَائِهِ احْتِبَاطِيَّ الدُّهُونِ،
يَهْتَضُ السَّنَامُ حَرَارَةَ الشَّمْسِ وَيُتِيحُ
لِلْجَمَلِ أَلَّا يُصَابَ بِالْجَفَافِ.

عَلَى احتِطَائِيٍّ مِنَ الدُّهُونِ. كُلَّمَا تَقَدَّمَ الجَمَلُ
 فِي سَيْرِهِ، زَوَّدَهُ هَذَا الاحتِطَائِيُّ بِالطَّاقَةِ
 الضَّرورِيَّةِ، وَتَحَوَّلَ إِلَى مَاءٍ يَرُوي جِسْمَهُ كُلَّهُ.
 هَذَا مُفِيدٌ جَدًّا عِنْدَمَا يَكُونُ عَلَيْهِ اجْتِيَاؤُ 40 كم
 فِي اليَوْمِ حَامِلًا 150 كغ مِنَ البَضَائِعِ عَلَى
 ظَهْرِهِ! عِنْدَمَا يَبْلُغُ آخِرًا يَنْبوعَ مَاءٍ، فَإِنَّهُ
 يُسَارِعُ إِلَى الشَّرْبِ كَمَا يَسْتَعِيدُ قِوَاهُ. وَالجَمَلُ
 فِي ذَلِكَ أَيضًا، مُتَّفَوِّقٌ، مَا دَامَ يَسْتَطِيعُ أَنْ
 يَبْتَلِعَ فِي عَشْرِ دَقَائِقَ حَتَّى مِئَةَ لِترٍ مِنَ المَاءِ!
 فَضْلًا عَنِ ذَلِكَ، إِنَّ التَّحَوَّلَ الغِذَائِيَّ فِي
 خَلَايَا جِسْمِهِ، يَعْمَلُ بِصُورَةٍ تَجْعَلُهُ يَصْرِفُ
 أَدْنَى قَدْرٍ مُمَكِّنٍ مِنَ المَاءِ. فَكُلِّيَّتَاهُ تُفْرِزَانِ
 بَوْلًا شَدِيدَ الكَثَافَةِ، وَالرَّوْثَ الَّذِي يَتْرُكُهُ خَلْفَهُ
 جافًا، أَمَّا حَرَارَةُ جِسْمِهِ فَتَهْبِطُ بِضِعِّ دَرَجَاتٍ
 فِي اللَّيْلِ عِنْدَمَا يَبْرُدُ الجَوُّ، فِيمَا تَرْتَفِعُ نَهَارًا
 كُلَّمَا اشْتَدَّ الحَرُّ. هَكَذَا، يَعْرَقُ الجَمَلُ قَلِيلًا جَدًّا،
 وَيَبْقَى جِسْمُهُ دَائِمًا رَطْبًا.



عِنْدَمَا يَتَنَفَّسُ الجَمَلُ، فَإِنَّهُ يُخَلِّقُ
 مِنتَرِيهَ حَابِسًا مَا يَحْتَوِيهِ الهَوَاءُ
 مِنْ بُخَارٍ عِنْدَ الرِّفْرِ.



يَسْتَطِيعُ الجَمَلُ أَنْ يَشْعَرَ بِوُجُودِ واحَةٍ
 مِنْ مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ جَدًّا.



الضُّمُودُ فِي الصَّحْرَاءِ



عِنْدَمَا يَقْرِيصُ الْجَهْلُ تَيَّ يَصْعَدُ الْجَهْلُ
إِلَى ظَهْرِهِ، يُقَالُ إِنَّهُ يَبْرُكُ .

طَعَامِهِ بِسَهُولَةٍ، عِنْدَمَا يَكُونُ جَائِعًا: أَوْرَاقُ
يَابِسَةٍ وَأَعْصَانُ شُجَيْرَاتٍ وَأَشْجَارٍ مُقَرَّمَةٍ
شَائِكَةٍ تَكُونُ إِذَّاكَ مُنَاسِبَةً لَهُ تَمَامًا، إِذْ إِنَّ
الْبِطَانَةَ الَّتِي تَغْطِي فَمَّهُ مِنْ الدَّاخِلِ سَمِيكَةٌ
بِمَا يَكْفِي لِقَلَا يُجْرَحُ .

لَيْسَ الْمَاءُ، فِي الصَّحْرَاءِ، الْمَادَّةُ الْوَحِيدَةَ
النَّادِرَةَ، فَالغِذَاءُ كَذَلِكَ، وَبِالْقَدْرِ نَفْسِهِ .
كَلَّلَ الْحَيَوَانَاتِ الْعَاشِبَةِ، يُحِبُّ الْجَمْلُ
خُصُوصًا الْعُشْبَ النَّضِيرَ . وَإِنَّهُ غَيْرُ مُتَوَقِّرٍ
بِكَثْرَةٍ فِي الصَّحْرَاءِ، فَهُوَ يَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَ قَائِمَةِ



بِفَضْلِ عُنُقِهِ الطَّوِيلِ، يَسْتَطِيعُ الْجَمْلُ أَنْ
يَأْكُلَ الْأَوْرَاقَ الَّتِي فِي أَعْلَى الْأَشْجَارِ .

→ فَهْمَا جِدًّا بِطَبِيعَتِهِ، يَسْتَطِيعُ الْجَهْلُ أَنْ يَأْكُلَ حَتَّى 30 كِغَمًا مِنَ النَّبَاتَاتِ فِي الْيَوْمِ !

كَكَلِّ مُجْتَرِّ جَيِّدٍ، يَهْضُمُ الْجَمْلُ طَعَامَهُ مَرَّتَيْنِ. بِدَايَةٍ، يَخْتَلِطُ مَا يَتَنَاوَلُهُ مِنْ غِذَاءِ بِالرِّيْقِ
الَّذِي يُفْرِزُهُ كَمَا يُشَكَّلُ فِي مَعِدَتِهِ نَوْعًا مِنْ عَجِينٍ؛ ثُمَّ يَعُودُ هَذَا الْعَجِينُ إِلَى فَمِهِ كَمَا يُمَضَّغُ
مُجَدِّدًا، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْمَعِدَةِ، حَيْثُ يَهْضَمُ مَرَّةً ثَانِيَةً. بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، يَسْتَوْعِبُ الْجَمْلُ الْحَدَّ
الْأَقْصَى مِنَ الطَّاقَةِ الَّتِي يَحْتَوِي عَلَيْهَا طَعَامُهُ.

فِي حَيَاتِهِ اليَوْمِيَّةِ أَيْضًا، عَرَفَ الْجَمْلُ أَنَّ
يَتَكَيَّفُ مَعَ مَاحِيطِهِ. فَجِلْدُهُ سَمِيكٌ لِلْغَايَةِ، بِحَيْثُ
إِنَّهُ لَا يَنْزَعِجُ مِنَ الْحَصَى الَّتِي يَسِيرُ عَلَيْهَا فِي
الصَّحْرَاءِ. وَبِفَضْلِ اللَّحْمِ الْمَيِّتِ الَّذِي يُغَطِّي
رُكْبَتَهُ، يَسْتَطِيعُ الْجَمْلُ كَذَلِكَ أَنْ يَرْكَعَ، مِنْ دُونِ أَنْ
يَشْعُرَ بِالْأَلَمِ عِنْدَمَا يَصْعَدُ الْجَمَالَ إِلَى ظَهْرِهِ. أَمَّا
أَفْضَلُ مَزَايَاهُ فَهُوَ شَكْلُ أَقْدَامِهِ. خِلَافًا لِلْحِصَانِ،
لَا حَافِرَ لِلْجَمَلِ، إِنَّمَا إِصْبَعَانِ تَغْطِي بَاطِنَهُمَا
وَسَيِّدَةٌ عَرِيضَةٌ، بِفَضْلِهَا لَا يَغْوِصُ الْجَمْلُ فِي رَمْلِ
الصَّحْرَاءِ النَّاعِمِ، وَقَلَّمَا يَنْزَلِقُ عِنْدَمَا يَسِيرُ عَلَى
الْحِجَارَةِ.



بَعْدَ أَنْ يُجَرَّ الطَّعَامُ، يَعُودُ مُجَدِّدًا
إِلَى الْمَعِدَةِ، حَيْثُ يَتَخَمَّرُ، وَيُنْتِجُ
الْفَيْتَامِينَاتِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْجَمْلُ.

خَتَّى عِنْدَمَا تَكُونُ الْأَرْضُ وَعَرًّا، يَسْتَطِيعُ الْجَمْلُ أَنْ يَسْتَرِيحَ مِنْ دُونِ أَنْ
يَشْعُرَ بِالْأَلَمِ!



العَمَلُ كَثِيرٌ وَالْعَامِلُ وَامِدٌّ

في ما يَتَعَلَّقُ بِالحَيَاةِ اليَوْمِيَّةِ، يَسْتَطِيعُ الجَمَلُ أَنْ يَكُونَ واثِقًا بِأَنَّهُ لَنْ يَكُونَ عاطِلًا عَنِ العَمَلِ. فَهُوَ الَّذِي يَحْمِلُ أَمْتَعَةَ الرُّحَلِ فِي الصَّحْرَاءِ، عِنْدَمَا يَنْتَقِلُونَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ. وَعَلَى ظَهْرِهِ، يَوْضَعُ البَلْحَ وَمُنْتَجَاتٍ أُخْرَى يَنْبَغِي أَنْ تُبَاعَ فِي السُّوقِ. وَفِي السُّوقِ، عَلَى أَيِّ حَالٍ، يَشْتَرِي الجَمَالَةَ حَيَوَانَاتِهِمْ وَيَبِيعُونَهَا.

خِلَالَ لِقَاءَاتِهِمْ، يَتَفَحَّصُ الشُّرَاءُ بِعِنَايَةِ الحَيَوَانَاتِ الَّتِي يَوَدُّونَ اِقْتِنَاءَهَا. وَيَنْظُرُونَ خُصُوصًا إِلَى حَالَةِ أَسْنَانِهَا وَقَوَائِمِهَا، لِكَيْ يَتَأَكَّدُوا مِنْ أَنَّهَا بِصِحَّةٍ جَيِّدَةٍ. عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَ أَنَّ جَمَالَ حَظِي بِعِنَايَةٍ جَيِّدَةٍ، يُمَكِّنُهُ أَنْ يَعْمَلَ 40 عَامًا! يُوقِّرُ الجَمَالَ الجَيِّدُ لِحَيَوَانَاتِهِ، خِلَالَ حَيَاتِهَا، أَفْضَلَ رِعَايَةٍ مُمَكِّنَةٍ. كَأَنَّ يَحْفَرُ



فِي مَعَارِضِ جَمَالِ شِبْهِ الجزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ، تُكُونُ البَفَاوِضَاتُ بَيْنَ البَدَوِيِّينَ أَحْيَانًا حَادَّةً.

ما يَكْفِي مِنَ الْأَبَارِ فِي الصَّحْرَاءِ، كَي تَجِدَ
دَائِمًا مَكَانًا تَرْتَوِي فِيهِ أَثْنَاءَ تَنْقُلَاتِهَا.
كَمَا يَسْهَرُ عَلَى أَنْ تَبْقَى هَذِهِ الْيَنَابِيعُ
نَظِيفَةً دَائِمًا. وَعِنْدَمَا تَتَجَاوَزُ حَيَوَانَاتُهُ
الْعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهَا، يُجَنَّبُهَا السَّفَرُ مَسَافَاتٍ
طَوِيلَةً جِدًّا.

فِي الْمُقَابِلِ، تُعْطَى النُّوقُ حَلِيبَهَا الْغَنِيِّ
جِدًّا بِالْفَيْتَامِينَاتِ، وَالْأَسْهَلُ فِي الْهَضْمِ مِنْ
حَلِيبِ الْبَقْرِ. أَمَّا الْوَبْرُ فَتُصْنَعُ مِنْهُ بَطَانِيَّاتٌ
تَقِي مِنَ الْبَرْدِ فِي لَيَالِي الصَّحْرَاءِ الْبَارِدَةِ.
وَلِلرَّوْثِ أَيْضًا فَائِدَتُهُ، بِحَيْثُ إِنَّ الْبَدَوَ
يَسْتَعْمِلُونَهُ كَوَقُودٍ لِلنَّارِ الَّتِي يُشْعِلُونَهَا
عِنْدَمَا يَتَوَقَّفُونَ لِلتَّخْيِيمِ.

أَخِيرًا، بَعْدَ حَيَاةٍ حَافِلَةٍ بِالْعَمَلِ، تُقَدِّمُ
الْجِمَالَ جِلْدَهَا الَّذِي يُدْبَعُ، فَتُصْنَعُ لِلتَّوْمِ مِنْهُ
أَحْذِيَةٌ وَحَقَائِبُ وَأَحْزِمَةٌ غَالِيَةُ الثَّمَنِ.



حَوْلَ الْأَبَارِ الْمَحْفُورَةِ فِي الصَّحْرَاءِ،
يَحْصُلُ التَّجَمُّعُ الْعَامُّ!





بواسطة خبلٍ مُعلَّقٍ
بالنخريين، يقودُ الجِمالُ
حيوانه.



للجمال الهريّة لسوّة فاتحةٌ وقوامٌ دقيقٌ.
إنّها أكثرُ الجِمالِ أناقةً، وَيستخدِمُها البدوُ
في السِّباقاتِ التي يتولَّعون بها.



يَضَعُ الجِمالُ بِقَدَمَيْهِ عَلَى رَقَبَةِ حَيوانِهِ، كي
يَحْتَنَهُ عَلَى التَّقَدُّمِ.

← لِفَتِ أَنْظارِ الشِّراةِ، قُلِبَسُ الجِمالِ أحيانًا حُللاً تَحَلَّلِ الأُميراتِ!



النَّفْل

الْجَمَلُ هَادِيٌّ عَادَةٌ، إِلَّا أَنَّ الذَّكَرَ يُصْبِحُ عُدْوَانِيًّا فَجَاءَةً، عِنْدَمَا يَحِينُ مَوْسِمُ الْغَرَامِيَّاتِ. فَيَقِلُّ أَكْلُهُ، وَيَسِيلُ لُعَابُهُ، وَيُحْدِثُ بِقَبْقَبَةٍ مُضْحِكَةً وَهُوَ يَنْفُخُ فِي جِيبِ جِلْدِيٍّ دَاخِلَ حَنَكِهِ: يُقَالُ حِينَنَدُ إِنَّهُ يَرَعُو.

عِنْدَمَا يَرَى نَاقَةً تُعْجِبُهُ، يَرْكُضُ خَلْفَهَا فَوْرًا، وَيُمْسِكُ خِنَاقَهَا بِفَكِّهِ، مُحَاوِلًا تَجْمِيدَهَا. وَإِذَا وَافَقَتِ السَّيِّدَةَ، فَإِنَّ السَّفَادَ يُمَكِّنُ أَنْ يَتَمَّ.

بَعْدَ عَامٍ، تَلِدُ النَّاقَةُ مَوْلُودًا وَحِيدًا، مَا يَعْنِي أَنَّهُ سَيَكُونُ مُدَلَّلًا حَتْمًا!

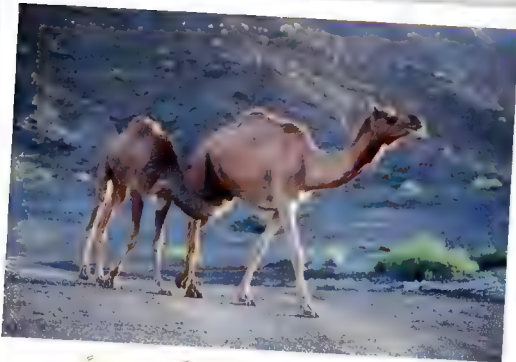
فِي الْأَيَّامِ الْأُولَى، يَسِيرُ الصَّغِيرُ عَلَى خُطَى أُمِّهِ، وَإِذَا غَابَتِ لَحْظَةً عَنِ نَاطِرِيهِ، فَإِنَّهُ لَا يَتَرَدَّدُ فِي الصُّرَاخِ كَمَا تَعُودُ! لَكِنَّ الْأُمَّ لَا تَغِيْبُ طَوِيلًا أَبَدًا، لِأَنَّ عَلَيْهَا يَوْمِيًّا أَنْ تُرْضِعَ صَغِيرَهَا كَمِّيَّةً كَبِيرَةً مِنَ الْحَلِيبِ: أَكْثَرُ مِنْ 10 لِيْتَرَاتٍ عِنْدَ الْوِلَادَةِ، وَتَتَرَاوَعُ إِلَى 6 لِيْتَرَاتٍ خِلَالَ عَامٍ!



عِنْدَمَا يَتَنَافَسُ ذَكَرَانِ فِي اجْتِنَابِ أَنْثَى، فَإِنَّهُمَا يَشْنَانِ مَعَارِكَةً غَنِيْفَةً أَحْيَانًا.



عِنْدَ الْوِلَادَةِ، تَبْتَعِدُ النَّاقَةَ عَنِ الْقَطِيعِ، كَيْ تَكُونَ مُرْتَاكَةً أَكْثَرَ.



لَا يُفَوِّتُ الصَّغِيرُ قَطْرَةً وَاحِدَةً مِنْ
خَلِيبِ أُمِّهِ، حَتَّى وَهِيَ تَسِيرُ!

عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ يَعْتَمِدُ عَلَى أُمِّهِ، يَتَعَلَّمُ
الْقَعُودَ (صَغِيرُ الْجَمَلِ) أَنْ يَنْدَبِّرَ أَمْرَهُ بِنَفْسِهِ
سَرِيعًا. فَبَعْدَ وِلَادَتِهِ، يَمْشِي فُورًا وَيَذْهَبُ
كَيْ يَتَعَرَّفَ إِلَى بَاقِي أَفْرَادِ الْقَطِيعِ. وَحَتَّى
إِنْ دَامَتِ الرُّضَاعَةُ طَوِيلًا، فَإِنَّ الصَّغِيرَ يَبْدَأُ
بِتَنَاوُلِ نَبَاتَاتِ بَانتِظَامٍ مُنْذُ عُمُرِ الشَّهْرَيْنِ.



هذه الجِوال التي تصنع التاريخ

في الأَمسِ البَعِيدِ، في زَمَنِ الطَّرِيقِ التِّجَارِيَّةِ الطَّوِيلَةِ، كَانَتِ القَوَافِلُ تَنْقُلُ أحمالَهَا مَسَافَاتٍ طَوِيلَةً جِدًّا. مِنَ الصِّينِ وَالهِندِ كَانَتِ تَصِلُ الحِجَارَةُ الكَرِيمَةُ، وَالخَزَفِيَّاتُ، وَالتَّوَابِلُ، وَالعُطُورُ، وَالْحَرَائِرُ؛ مِنْ مِصرَ كَانَتِ تَرِدُ الأَخشَابُ، وَالقَمَحُ، وَالبَرْدِيُّ، وَالدَّهَبُ؛ وَمِنْ إفريقيَّةِ السَّوْدَاءِ، العَاجُ وَالعَبِيدُ.



كَانَتِ الحَانَاتُ كَهذِهِ المَوجودَةِ في تُرْكِيَا، مَكْصَنَةً بِجُدْرَانِ صَخِيَّةٍ تَضَمَّنُ لَهَا السَّلَامَةَ.

عند ولادته، يكون ارتفاع القعود قد بلغ المترًا تقريبًا! →

هَذِهِ الْقَوَافِلُ الَّتِي تَجْرُهَا جِمَالٌ شَجَاعَةٌ،
تَضُمُّ فِي الغَالِبِ مِئَاتٍ مِنْ رِجَالٍ وَحَيَوَانَاتٍ
يَسِيرُونَ لِأَشْهُرٍ طَوِيلَةٍ، وَيُحِيطُ بِهَا حُرَّاسٌ
مُسْلِحُونَ لِمُوَاجَهَةِ قُطَاعِ الطَّرِيقِ، وَغَالِبًا مَا
تُسَافِرُ لَيْلًا، مُسْتَرَشِدَةً بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ فَقَط.
فِي الطَّرِيقِ، تَتَوَقَّفُ الْقَوَافِلُ فِي أَنْوَاعٍ مِنْ
الْفَنَادِقِ تُدْعَى الْخَانَاتِ، حَيْثُ يَجِدُ الرِّجَالُ
وَالْحَيَوَانَاتُ سَبِيلًا لِلْأَكْلِ وَالرَّاحَةِ وَالْعِلاجِ
قَبْلَ مُتَابَعَةِ الرِّحْلَةِ. تَحْتَوِي هَذِهِ الْمُنشآتُ
الضَّخْمَةَ عَلَى حِظَائِرٍ تَأْوِي إِلَيْهَا الْجِمَالُ،
فَضْلًا عَنِ مُسْتَوْدَعَاتٍ تُخزَّنُ فِيهَا البَضَائِعُ.



كَانَ الْمَسَافِرُونَ يَتَوَقَّفُونَ لِلإِقَامَةِ فِي
هَذَا الْخَانِ الْجَمِيلِ، فِي الْقَاهِرَةِ.



طَرِيقَ الْحَرِيرِ الَّتِي كَانَتْ، حَتَّى الْقَرْنِ
السَّادِسِ عَشَرَ، تُصِلُ الصِّينَ بِسُورِيَا، مَوْطِنَ
هَذَا النَّقِشِ، سَهَكَتْ بِتَبَادُلِ هَائِلَةٍ
لِلتَّقْنِيَّاتِ وَالْبَهَارَاتِ.



لبيع البخور الثمين المستخرج من شجرة في اليمن، كانت الجبال تجتاز
صعوداً شبيهة الجزيرة العربية وصولاً إلى مراقي المتوسط.

ولأن الخانات تستقبل عدداً كبيراً من الناس، فهي بطبيعة الحال أماكن تجارية، بل
أماكن تلاقٍ بصورة خاصة، حيث يتشارك المسافرون القادمون من إفريقية وآسيا
وأوروبا، أخبار الساعة، ويروون قصصاً وأساطير، فيغنون بهذا التبادل ثقافاتهم.

أسرة كبيرة

الجمال أنواع تتحدّر من أسرة تُدعى الجمليات. جدّها المُشترَك هو في الأصل حيوانٌ صغيرٌ قارِئٌ (يقتاتُ بالموادّ الحيوانية والنباتية على حدّ سواء) بِحجمِ أرنبٍ، كان يعيشُ في أمريكا الشماليّة، قبلَ 40 مليونَ عامٍ تقريبًا. تحوّل هذا الحيوانُ شيئًا فشيئًا، وهاجرَ إلى مناطقٍ أُخرى. أثناءَ هذا التطوُّر، استوطنَ الجملُ وحيدُ السنامِ بِشكلِ رئيسيّ الشرق الأوسطَ وإفريقيّة، وظهَرَ الجملُ ذو السنامينِ في آسيا الشرقيّة، كما أبصرتِ النورَ أنواعٌ أُخرى من الجملياتِ في أمريكا الجنوبيّة.



هذه المجهنة الجبلية، التي اكتشفت في حقل أحافير، في أمريكا الشماليّة، تُثبتُ وجودَ الجملِ على القارة.

مع أنّ بعضها يختلفُ عن بعضٍ من حيث الشكل، غير أنّ لأفرادِ هذه الأسرة سماتٌ مُشتركة. بدايةً، إنّها جميعًا مُجتزّة. ثم، إنّ كلاً من أقدامها مُزدوجُ الأصابع، ورأسها صغيرُ الحجم، وخطمها ينتهي دائمًا بشفةٍ عليا مُحرّزة الوسط. أمّا المُتحدّرة من أمريكا الجنوبيّة، وخلافًا للجملياتِ الأخرى، فهي صغيرةُ الحجم، من دونِ سنام، وتعيشُ حصرًا في مناطقٍ جبليّة.

الجَمَلُ ذُو السَّنَامَيْنِ

وَيُدْعَى أَيْضًا جَمَلًا بَاكْتَرِيَانًا، نِسْبَةً إِلَى اسْمِ إِقْلِيمٍ قَدِيمٍ فِي
آسِيَا الْوُسْطَى. يُشْبِهُ هَذَا الْحَيَوَانَ الْجَمَلَ وَحِيدَ السَّنَامِ إِلَى حَدِّ
بَعِيدٍ، لَوْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ سَنَامَانِ بَدَلًا مِنْ وَاحِدٍ! تَجَدُّهُ دَاجِنًا بِنِسْبَةِ
كَبِيرَةٍ، فِي الْبَرَارِيِّ وَالشُّهُوبِ وَصَحَارِي مَنغُولِيَا وَالصَّيْنِ،
حَيْثُ يَصْمُدُّ بِفَضْلِ الْمَوْهَلَاتِ الْبَدَنِيَّةِ وَالْعَادَاتِ الْغِذَائِيَّةِ نَفْسَهَا
الَّتِي يَتَمَتَّعُ بِهَا قَرَيْبُهُ الْإِفْرِيْقِيُّ. وَلَكِنَّ الْجَمَلَ ذَا السَّنَامَيْنِ مَرْبُوعٌ أَكْثَرَ، وَفَرُّهُ كَثِيفٌ جَدًّا، يُمَكِّنُهُ مِنْ
تَحَمُّلِ الشِّتَاءِ الْجَلِيدِيِّ فِي الْمَنَاطِقِ الْبَارِدَةِ حَيْثُ يَعِيشُ.
يُسْتَعْمَدُ مِنْ أَجْلِ حَلِيِّهِ، وَصُوفِهِ، وَجِلْدِهِ، وَلَحْمِهِ. إِنَّهُ حَيَوَانٌ صَلْبٌ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْقُلَ أَحْمَالَ
ثَقِيلَةً. بِاخْتِصَارٍ، إِنَّهُ أَفْضَلُ رَفِيقٍ لِلرَّحْلِ فِي الشُّهُوبِ.



اللامَّة

هُوَ مِنْ دُونِ سَكِّ أَكْثَرِ الْجَمَلِيَّاتِ شُهْرَةً فِي أَمْرِيكَا الْجَنُوبِيَّةِ، وَأَطْوَلُهَا فِي
تِلْكَ الْمَنْطِقَةِ. إِنَّهُ حَيَوَانٌ دَاجِنٌ تَمَامًا، وَمِنْ جُمْلَةٍ مَا يُزَوِّدُ بِهِ سُكَّانَ جِبَالِ
الْأَنْدِسِ، صُوفٌ سَمِيكٌ قِيَمٌ جَدًّا. لَكِنَّهُ أَيْضًا حَيَوَانٌ جَرٌّ جَيِّدٌ، مَعَ أَنَّهُ يَتَّصِفُ
أَحْيَانًا بِطَبْعٍ سَيِّئٍ. عِنْدَمَا يُرْعَجُهُ أَحَدُهُمْ، فَهُوَ لَا يَتَرَدَّدُ فِي أَنْ يَبْصُقَ مَزِجًا
مُجْتَرًّا مِنْ رِيْقٍ وَعَسْبٍ فِي وَجْهِهِ!



الألبكة

حَيَوَانٌ دَاجِنٌ أَيْضًا، يُشْبِهُ اللَّامَةَ كَثِيرًا، غَيْرَ أَنَّهُ أَصْغَرُ حَجْمًا. يَعِيشُ فِي بَرَارِي جِبَالِ الْأَنْدَسِ، وَلَكِنْ عَلَى ارْتِفَاعٍ أَعْلَى مِنْ مَكَانِ إِقَامَةِ قَرَيْبِهِ. تَعُودُ شَهْرَتُهُ إِلَى فَرُوهِ خُصُوصًا. فَعِنْدَمَا يُجْزُّ فِي الشِّتَاءِ، يُصْنَعُ مِنْهُ صُوفٌ نَاعِمٌ دَافِئٌ، عَالِي الْجُودَةِ.



الغوناق

يَعِيشُ بِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ فِي الْبَرِّيَّةِ، إِنَّهُ عَلَى الْأَرَجِحِ جَدُّ اللَّامَةِ. تَجِدُهُ فِي الْجِبَالِ، فِي مَنَاطِقَ شَبِهُ صَحْرَاوِيَّةٍ تَمْتَدُّ مِنَ الْبَيْرُوخْتِي بَاتَاغُونِيَّةِ، وَلَكِنْ عَلَى ارْتِفَاعٍ أَدْنَى مِنْ مَكَانِ إِقَامَةِ قَرَيْبِهِ الْأَلْبَكَةِ. مَعَ قَوَائِمِهِ الطَّوِيلَةِ وَقَوَامِهِ الْمَشِيقِ يَتَسَلَّقُ الْغُونَاقُ بِسُهُولَةٍ تَضَارِيسَ وَعُرَا.



الفكونة

هُوَ أَصْغَرُ الْجَمَلِيَّاتِ حَجْمًا. يَعِيشُ كَقَرَيْبِهِ الْغُونَاقِ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَلَكِنْ لَيْسَ بِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ، فَقَدْ كَانَ هَدَفًا لِلصَّيَادِينَ خِلَالَ زَمَنِ طَوِيلٍ، نَظْرًا إِلَى جُودَةِ لَحْمِهِ وَصُوفِهِ. إِنَّهُ الْيَوْمَ مَحْمِيٌّ، يَعِيشُ فِي جِبَالِ الْأَنْدَسِ، عَلَى ارْتِفَاعٍ أَكْثَرَ مِنْ 4000 مِترٍ، فِي مَنَاطِقَ عُشْبِيَّةٍ وَشَبِهُ قَاحِلَةٍ.



← لَهَا يُنَزَّهَ الْخُرُوتَ كَلَابَهُمْ، تَنْزَهُ هَذِهِ الْبَيْرُوْفِيَّةُ لَامَتَهَا.





يُمْكِنُ إِغْلَاقُ الْهِنَكَرَيْنِ لِنَهْنِجِ
الرَّمَالِ مِنَ الدُّخُولِ .



بطاقة تعريف

الفصيلة: الجمليات

الرتبة: مزدوجات الأصابع

الصف: اللبونات

المسكن: صحار، مناطق عشبية

وشبه قاحلة، سهول

مناطق عيشها: في إفريقية الشمالية

خصوصاً، في الشرق الأوسط،

وفي أستراليا

فترة الحمل: بين 12 و14 شهراً

عدد الصغار في كل حمل: 1 (واحد)

الطول: 2,20 إلى 3,40 أمتار بالنسبة إلى

الجسم (حتى أعلى السنام)؛ 0,50 متر

بالنسبة إلى الذنب

الوزن: يصل إلى 700 كيلوغرام

نظام الاغذاء: أعشاب وما توافر من

نبات يابس

معدل الأعمار: يصل أحياناً إلى 40 عاماً

سَنَامُ الْجَمَلِ مَخَزَنٌ
لِاحْتِيَاطِيٍّ الْغِذَاءِ.

فَرُوهُ الْكَثِيفُ يَحْمِيهِ
مِنْ ضَرَبَاتِ الشَّمْسِ.

جَفْنَاهُ فِي غَايَةِ الرَّقَّةِ، حَتَّى
إِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسِيرَ مُغْمَضَ
الْعَيْنَيْنِ، عِنْدَمَا تَهْبُّ الْعَاصِفَةُ
الرَّمْلِيَّةُ.

قَوَائِمُهُ تُبْعِدُهُ عَنِ الْأَرْضِ،
حَيْثُ الْحَرَارَةُ فِي أَعْلَى
دَرَجَاتِهَا.





طُبِعَ هذا الكِتَابُ في لبنان لدى مَطابعِ بيلوس بريتنغ.

سمير دار نشر

بيروت، لبنان

الطبعة الثَّانية

سنّ الغيل، الجسر الواطي، ص.ب.

ISBN 978-9953-31-430-3

Crédits photographiques

Shutterstock, Istock, Bigstock, Dreamstime, 123rf

p. 8 : © Bruno Ehrs / Corbis / arabianEye.com - p. 9 : © Stefano Torriero / Hemis / Corbis / arabianEye.com - p. 10 : © Karen Tweedy-Holmes / Corbis / arabianEye.com - p. 14 : Gamma-Rapho via Getty Images / Gallo Images - p. 15 : © Kevin Fleming / Corbis / arabianEye.com - p. 16 (hd) : © Tim Graham / Corbis / arabianEye.com - p. 16 (bg) : © Michel Gounot / Godong / Corbis / arabianEye.com - p. 19 (b) : © Torleif Svensson / Corbis / arabianEye.com - p. 22 (h) : © Christine Osborne / Corbis / arabianEye.com - p. 22 (b) : © Prisma Archivo / DanitaDelimont.com / Getty Images / Gallo Images - p. 23 : Gamma-Rapho via Getty Images / Gallo Images - p. 24 : © Brian Cahn / ZUMA Press / Corbis / arabianEye.com - p. 27 : © Hugh Sitton / Corbis / arabianEye.com

إنَّ أيَّ عمليةِ نقلٍ أو تصوير، كليَّةٍ أو جزئيَّة، بأيِّ طريقةٍ كانت، أكانت تتناول النِّصوصَ أو الرِّسومَ أو الصُّورَ أو إيضاحاتِ الرِّسومِ و الصُّورِ أو تصميمِ الصِّفحاتِ، تجري دون موافقة الناشر أو خلفائه أو مستفيديه، تكون غير شرعيَّة وتشكل جرم نقل مؤلِّفات الغير أو التَّقليد المعاقب عليهما بموجب أحكام قانون حماية حقوق الملكية الفكرية. جميع الحقوق محفوظة لكلِّ البلدان.



الجمالُ اجتماعيٌّ بطبيعِهِ، فنادراً ما يكونُ صعبَ المراسِ مع سيِّده. كما أنَّه، بِشكلٍ خاصٍّ، مُتألِّفٌ تماماً مع الحياة في الصَّحراءِ، فبينما يكونُ حصانٌ قد تعبٌ منذُ وقتٍ طويلٍ، يُتابعُ الجمَلُ تقدُّمه بِغيرِ كللٍ، مُتمكِّناً أحياناً من السَّيرِ أسابيعَ عديدةً من دونِ أكلٍ ولا شربٍ!



ISBN 978-9953-31-430-3
9 789953 314303